

تراث أهقار في كتابات أنجيل بيرثوين خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر
**Ahaggar heritage in the writings of Angel Berthoin during
the French occupation of Algeria**

* أ.د. رمضان حينوني

Pro. Ramdane HINOUNI

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست
جامعة تامنغست

University of Tamanghasset

ramdanne@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/07/27	تاريخ القبول: 2025 05/26	تاريخ الإرسال: 2025/01/19
-------------------------	--------------------------	---------------------------

مَلِكُ الْجَنَّةِ

تسعى في هذه الورقة إلى التعريف بشخصية أدبية مهمة اهتمت بالهقار إبان الفترة الاستعمارية، يتعلق الأمر ب(أنجل مارافال بيرثوين)، التي عاينت الهقار بنفسها وصاحبت أهله، ونقلت قافته بكثير من الود، على الرغم من انتمائها إلى إدارة المستعمر الغاشم.

ونطرح السؤال الآتي : ما الصورة التي شكلتها بيرثوين عن الهقار؟ وما العوامل التي ساعدتها في إصدار هذه الكتب الأربعة المهمة عن منطقة الهقار في النصف الأول من القرن العشرين؟

وتأتي أهمية هذه الورقة من كونها تسلط الضوء على جزء من تراث أهقار يبدو أنه يتضاءل عقدا بعد آخر، وبخاصة أنه منقول عن شخصيات هقارية مهمة مثل داسين وموسى أقي أمستان.

الكلمات المفتاحية : تراث؛ أهقار، كتابات فرنسية؛ أنجل بيرثوين.

Abstract :

In this article, we seek to introduce an important literary figure who was interested in the Hoggar during the colonial period. This is Angel Maraval

* رمضان حينوني: ramdanne@gmail.com

Berthoin, who saw the Hoggar herself, accompanied its inhabitants and transmitted its rhyme with great affection. despite her affiliation with the brutal colonizer's administration.

We ask the following question: What image did Berthouin have of the Hoggar? What factors helped her to publish these four important books on the Hoggar region in the first half of the 20th century?

The importance of this article comes from the fact that it highlights part of the Ahaggar heritage transmitted by the two important figures of the Ahaggar: Dassin and Moussa Ag Amstan.

Keywords: Heritage; Ahaggar, French writings; Angel Berthoin.



تمهيد:

إن السؤال الذي يطرحه الدارس لتاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو أي احتلال آخر لشعب مغلوب هو : هل أحب المحتل الأرض أم الإنسان؟ خصوصا عندما يبتعد مؤقتا عن الجانب العسكري الذي لا تخفى مهمته على عاقل، ويغوص في النظر إلى الأعمال والسياسات الأخرى التي يكشف جانب منها على محاولة تأهيل الأهالي وتوفير الظروف الإنسانية التي تجعلهم يعيشون مع المحتل تحت شعارات مختلفة مثل (تحضير الشعوب المتخلفة) على سبيل المثال.

ما من شك في أن حب المحتل للأرض أولوية منطقية، فما غزا أرضا ليست له إلا لغايات كبرى استراتيجية عسكرية أو اقتصادية أو ثقافية، أو كلها مجتمعة، أما الإنسان فينظر إلى سلوكه واستجاباته لمختلف الممارسات التي يفرضها المحتل على الأرض، وبناء عليهما يتخذ الموقف الذي يسوقه للرأي العام، سواء أكان صادقا أم مزيفا.

هذا على المستوى العام، أما على مستوى الأفراد فإننا واجدون تباينا في المواقف بخصوص النظرة إلى الأهالي في كل مرحلة تاريخية، ونحن هنا نتحدث عن أولئك الذين كتبوا وتركوا آثارا في مجال ما من مجالات الكتابة، وهي كثيرة ومتعددة عند الفرنسيين الذين عاشوا في الجزائر، وعاشوا الفترة الاستعمارية من أولها إلى نهايتها؛ فكلهم أحب الأرض مناخا وخيرات وطبيعة، لكن منهم من أحب الأرض وكره

الشعب، ومنهم من أحبهما معا ولكن تحت السيطرة الاستعمارية. وفي كل الحالات فنحن أمام ثروة تراثية استعمارية، علينا أن نحسن التعامل معها عند تناولها والحديث عنها، بما يجعلنا نستفيد منها من دون أن يعني ذلك تقديسها أو قبول جميع مادتها.

الجزائر المستعمرة والمثقفون الفرنسيون

شهدت الجزائر على امتداد الفترة الاستعمارية (1930-1962) تواجدا مكثفا للمثقفين المستعمرين، بمختلف أنماطهم وتخصصاتهم واتجاهاتهم الفكرية، سواء تعلق الأمر بالذين ولدوا في الجزائر أم الذين استوطنوها في فترات زمنية مختلفة، وعددهم لا يكاد يحصى، ما يدل على أن الإنتاج الأدبي والثقافي لهذه الترسانة من الكتاب كبيرة، أسهمت فترة الاحتلال الطويلة في كثرته وتنوعه. ويعد كتاب (المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين) للكاتبة يحيوي مرابط مسعودة¹ من أهم الكتب التي أحاطت بتفاصيل لاقتة عن مجمل الكتاب والأدباء الذين برز نشاطهم على أرض الجزائر، وصنفتهم بحسب تياراتهم الفكرية وطبيعة كتاباتهم، وعلاقاتهم بالمجتمع المحلي.

ومن أهم التجمعات الأدبية التي أسسها الفرنسيون في الجزائر نجد (حركة الجزائر)، وهي حركة أدبية وثقافية أسسها الفرنسيون في العاصمة الجزائر في الثلث الأول من القرن العشرين، وهي " هيكل هجين نصفه الأول يمثل المستعمرة ونصفه الآخر المقاطعة الفرنسية، تكيف سكانها الجدد والفرنسيين على حد سواء مع هذه الجوانب غير القابلة للتوفيق..² ويعود اشتقاق هذا المصطلح (algerialiste) إلى الكاتب الفرنسي روبير راندو () الذي عنون إحدى رواياته الثلاث بـ (الجزائريين) التي صدرت عام 1911، غير أن صاحب المصطلح الحقيقي هو جان بومبي () من خلال تأسيس (جمعية الكتاب الفرنسيين) عام 1921،³ فأصبح للمصطلح دلالة تنظيمية لأنه يختص بحركة أدبية وفكرية دون غيرها من المتواجدين على أرض الجزائر.

كانت نظرة الكتاب الفرنسيين إلى الجزائر المستعمرة عموما خاضعة لإرادة السلطة الاستعمارية، فتواجههم على هذه الأرض سواء مولدا أو قدوما أتاح لهم التفوق والسيطرة في مجالات الحياة المختلفة، أما الأهالي فمحل الصراع والدراسة ومادة للإنتاج الأدبي والفني، وعلى الرغم من ذلك كله، فقد انقسم الكتاب والمثقفون الفرنسيون إلى مجموعات تختلف من حيث نظرتها إلى الجزائر تحت تأثيرات سياسية أو إنسانية معينة. فهناك المتعاطفون مع الأهالي مثل جيروم وجان طارود، وهويرتين أوكلار، وجان بومرول الذين " كانوا يطالبون أكثر بالعدالة والمساواة"، وهناك الاندماجيون الذين يعارضون استقلال الجزائر

ويؤمنون بالإدماج في إطار فرنسا الكبرى منهم: بول وفيكتور مرغريت ودو فندلبورغ وأنجيل مارافال بيرثوين. وهناك الباحثون عن هوية جديدة للمهاجرين الأوروبيين في الجزائر عرفوا باسم البيكاريسك⁴ (picaresque) أو المغامرون والساخرون.⁵

ومهما يكن من أمر، فإن الكتابات الفرنسية في الفترة الاستعمارية تركت تراثا فكريا معتبرا ومهما وجديرا بالبحث والتنقيب لما يكشف عنه من تصوير ودراسة وتحليل للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الجزائر، في زمن لم يكن من أهلها كثير ممن يسدون هذا الباب نتيجة لهمجية هذا الاحتلال ونوعيته الرديئة التي استهدفت الفكر والثقافة المحليين استهدافا شنيعا، فلم نجد بعد جلالة بدا من العودة إلى كتاباته في المجالات المختلفة.

أنجيلا م. بيرثوين وأدب إيموهاغ:

ترجمة لأنجيلا بيرثوين:

ولدت أنجيلا مارافال بيرثوين *Angèle Maraval-Berthoin* بمدينة وهران عام 24 أغسطس / أوت 1875 لأب اسمه (جان ماري جوزيف بيرثوين)، ولأم تدعى (سيلينا) التي ورثت لابنتها حب الفن والأدب، تدرج والدها في حياته من عامل بسيط إلى مالك سفينة فمصدر ثم واحد من كبار المستوطنين بوهران، إلى درجة أن حيا بكامله سمي باسمه وما زال شعبيا هو حي (مارافال).. سخرت أنجيلا حياتها العملية للخدمات الإنسانية في إطار جمعيتي (الصليب الأحمر) و(قطرة حليب) مدفوعة من حبها الشديد للجزائر الفرنسية. كما تعد من القلائل الذين امتلكوا الجرأة - وقتها - لزيارة الجنوب الجزائري الكبير الذي لم يكن آمنا كما مناطق الشمال. وكانت تفتخر بكونها أول امرأة تخلق بالطائرة فوق الصحراء .

تتنوع أعمال بيرثوين بين الشعر والمسرح والرواية والقصة القصيرة، ما يشكل في المجموع عشرين عملا، - مجال المقار نجد كتباً أربعة هي (أغاني المقار 1934 *Chants du Hoggar*) و(داسين سلطانة المقار 1951 *Dâssine, sultane du Hoggar*) و(أصوات المقار 1954 *Les Voix du Hoggar*) و(مفتاح المقار 1957 *La Clef du Hoggar*).)

-عن الجزائر عموما لها: (أسطورة لالة مغنية من خلال التقاليد العربية 1927 *La légende de* -
Poèmes 1908 جزائرية)، و(أشعار جزائرية *Lalla Maghnia d'après la tradition arabe*).

Anthologie de 1914 algériens)، وديوان شعر جماعي بعنوان (مختارات من شمال إفريقيا 1914 *(l'Afrique du Nord.*

- في مجال المسرح والرواية والقصة لها كتاب (مسرح أخضر في 1967 *Un théâtre de verdure* en 1867) وملهأة بعنوان (حلم ليلة 1913 *Rêve d'un soir, comédie*)، و رواية (قلوب حمراء 1914 *Coeurs rouges*)، و قصة (المنتصرون 1904 *Les Vainqueurs*) وأعمال مختلفة أخرى.⁶

مع بداية الثورة التحريرية عام 1945 بدأ التواجد الاستعماري بالجزائر يستشعر الخطر تدريجيا، كما تلاحت الأحداث المأساوية في نظر الفرنسيين. سنتين بعد ذلك تعرضت أنجيلا لسقوط عنيف أدى إلى كسر في أعلى فخذه؛ لعل ذلك كان إيذانا بنهاية المسار، لتموت في 21 يناير 1961م.

الهقار في مؤلفات بيرثونين:

بوصفه مجتمعا مختلفا ومتفردا بخصائص لافتة للانتباه، شد الهقار أنظار الرحالة الفرنسيين، كما غيرهم من القوميات الأخرى، ومن نافذة العجائبي حاول هؤلاء نقل صورة جديدة إلى مجتمعاتهم التي قطعت شوطا مهما في التمدن والحضارة المادية؛ فالاختلاف كان كبيرا جدا في الأدوات الحياتية وفي الأفكار، وفي التاريخ أيضا، وهو ما يدفع المرء إلى طرح الأسئلة حول كيفية فهم هذا المجتمع، أو قراءته القراءة التي تكشف عن عمقه الحضاري المختبئ خلف مظاهر البداوة والبساطة.

لهذا وجدنا الرحالة الأوروبيين عامة يهتمون بنقل دقائق الأمور عن مجتمع إيموهاغ: لباسهم وقوتهم ومساكنهم وعاداتهم ومناسباتهم وكل ما يتعلق بنظام حياتهم، ولا نجد مثل هذا التفصيل في الكتابات إلا عندما يكون الاختلاف كبيرا بين أمة وأمة، ومجتمع وآخر، ويكون العنوان الرئيس لتلك الكتابة هو الاستكشاف (Exploration)، أو نقل صورة جديدة لمجتمع مجهول أو غير معروف.

تعد الكاتبة أنجيلا من أبرز الكتاب الفرنسيين اهتماما بالهقار من الناحية الأدبية، ذلك أن كتبها الأربعة تعد شاهدا على الأثر البالغ الذي تركته المنطقة في نفسها، فاندفعت تدون ما تزرخ به من قصص وأساطير وأشعار، كانت شاهدا على روايتها بحكم عيشها بتامانغت على فترات من حياتها، وبحكم تخصصها الأدبي الذي كان مصبوغا بـ " حساسية شعرية ورؤية إنسانية واسعة وإحساس عال بالمكان." ⁷

تروي عنها (جينيفير دي طيرنان) *Geneviève de Ternant* قولها: " لقد تمكنت من التوغل أكثر في روح هذا الهقار الفخور والبعيد الذي يحاصر باب مسكنه، مثل صندوق فكره وجميع

صناده الأخرى، بقفل به ثلاثة مفاتيح (...) لقد استمعت إلى أمهات كبيرات في السن يهمن لأطفالهن الصغار، والعذارى الصغار، والشابات يتبادلن أسرارهن بالنهار والليل، ويضحكن إلى الشمس والقمر".⁸

وتقول عنها أيضا " لقد استمعت إلى كلمة أمينوكال موسى أق أماستان، وكلمة داسين الحلو والجميل والقوي، التي كانت الصديق الموثوق للأب شارل دي فوكو"⁹، الأمر الذي ساعدها في نقل أدب إيموهاق من منابعه الحقيقية في أربعة كتب هي:

1-مفتاح الهقار: (La clef du Hoggar) وهو تجميع من الأغاني والخرافات والأساطير التي سمعتها أنجيلا بالهقار، أو ترجمت لها لأنها " لم تكن تحسن العربية ولا لغة تامهاق"¹⁰، ما يعني أن اعتمادها الأساس كان على ما يترجم لها. نالت به الكاتبة جائزة (Jules Favre¹¹) عام 1957.

2-أغاني الهقار: Chants du Hoggar سجلت به أنجيلا سلسلة من أساطير وخرافات الطوارق. تخبرنا مترجمة الكتاب إلى الإسبانية فيرا ياموني طابوش (Vera Yamuni Tabush) إلى أن محتوى الكتاب " أغاني واحة الهقار، المحفوظة في تقاليد الطوارق الشفوية، إلى وقت ضائع في سراب الزمن... إنها مجتمعة، تشكل الأغاني قصيدة حب ملحمية واسعة، تروي مغامرات أمينوكال (موسى أق أماستان) وشغفه المتحمس وغير المتبادل لداسين ولت إيهما (Dassina-ult-Yemma). إن الرقة العاطفية لأبيات الشعر تنقل روحاً غنائية قريبة جداً من تلك الموجودة في نشيد الإنشاد، ولهذا السبب فإن حقيقة أنها العينة الوحيدة المعروفة لأدب الطوارق هي أكثر إثارة للدهشة"¹².

وتذهب طابوشي إلى التأكيد على فضل شخص يدعى (بلعيد محمد بن علي)، الرقيب في الجيش أثناء الحكم الفرنسي في جمع هذه الكتابات وتسليمها بلغة تامهاق إلى مرافال بيرثوين، التي ترجمتها لاحقاً إلى الفرنسية.

وترى فيموندو برونياتيلى أن بيرثوين أعدت هذا الكتاب على الطريقة الأوروبية، وإن كانت قد حافظت على كثير من المقاطع كما هي على الطريقة الأتارقية الأصلية¹³

3-أصوات الهقار: نال الكتاب جائزة ([Prix Marcelin Guérin](#)¹⁴) عام 1955؛ وهو " كتاب ذو ثلاثة أصوات في شكل جملة. هذه المبادلة الخطائية تأخذ شكل تبادل بين داسين سلطانة الهقار التي تصور المرأة، وموسى أق أماستان الأمينوكال الغارق في حب داسين، والأب شارل دو فوكو عاشق الصحراء"¹⁵، وفي كل موضوع أو فكرة تتناوب الأصوات الثلاثة بالترتيب، موسى أق أماستان ثم

شارل دو فوكو ثم داسين، وكل منهم يعالج الفكرة وفق تخصصه، إذ الأول يمثل السلطة السياسية والدينية الإسلامية، والثاني يمثل الرهينة الدينية المسيحية، وداسين تمثل الشاعرة العاطفية. وعلى هذا الأساس تتعدد الرؤية وفق وضعية كل متحدث، كما في مثال فكرة التملك: قال موسى آق أمستان: هل تسعد بالعيش قائلا: مكتوب ! لكل ما لا تستطيع امتلاكه؟ الأب شارل دو فوكو: كل شيء يتركنا بسرعة، لا يجب الأسف على الكنوز الماضية. داسين: قبل موعد القافلة القادمة إلى تينهنان، الجدة الممتطية الناقة الذهبية، أريد، أنا داسين، أن أجعل لآلي الماء، وأزهار السماء، وأوشحة القمر، وقلائد الرمال تنزلق من يديّ لفترة طويلة طويلة¹⁶.

4- داسين سلطانة الهقار هو كتاب نال جائزة (Lafontaine¹⁷) عام 1952، ضمن جوائز الأكاديمية الفرنسية تقديرا لجهود الكاتبة في التقريب بين المسلمين والفرنسيين على حد قول جورج لوكومت، الذي امتدح هذا الكتاب بقوله: "لا يزال أثر (داسين سلطانة الهقار) في شعر وأعراف السكان الأصليين في جنوب الجزائر. تتحدث عنها كشخص لاحظ بشكل مألوف وجود إنسانية تستحق إثارة الاهتمام والتعاطف النشط"¹⁸.

خاتمة:

إن للجوائز الكثيرة التي خصصتها فرنسا الاستعمارية للأدباء والأعمال الأدبية التي تتحدث عن تراث مستعمراتها أبعادا كثيرة، منها التقريب بين الفرنسيين والشعوب المستعمرة تحت مظلة الإدماج، وذلك بنقل كل ما يتعلق بثقافة هذه الشعوب التي نظر إليها في أحيان كثيرة على أنها بدائية أو غريبة أو مختلفة؛ ومنها أيضا تشجيع الحركة الأدبية الفرنسية في الجزائر التي ولد فيها عدد مهم من الكتاب البارزين مثل ألبير كامو، واستوطنها عدد مهم آخر من الأدباء الذين شكلوا مدارس أدبية مختلفة، أسهمت بشكل كبير في ثراء الأدب الفرنسي.

أما كتب بيرثوين عن الهقار فتكمن أهميتها الكبرى في تدوين كثير من الأدب الشفوي الذي تناقلته الألسن، والذي يعبر عن ثقافة عريقة لا يعرف عنها الكثير خارج مجالها الجغرافي.

هوامش:

¹ الكتاب من مجلدين، ترجمة محمد المعراجي .

<http://cerclealgerianiste2607.fr/Chapitres/ACCUEIL/Accueil.html>²

Ibid.³

⁴ *البكاريسك: نوع أدبي من أصل إسباني عرف بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وشخصيته الرئيسية هي مغامر هامشي وغير أمين.

⁵ يحياوي مرابط مسعودة. المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين . تر. محمد المعراجي. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر. 2010 المجلد الأول. ص 364 وما بعدها.

*البكاريسك: نوع أدبي من أصل إسباني عرف بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وشخصيته الرئيسية هي مغامر هامشي وغير أمين.

⁶ https://data.bnf.fr/fr/12408427/angele_maraval-berthoin/

⁷ Antoinette TIDJANI Aloo. Si le Sahara m'était Conté. P 241

⁸ http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog06_Maraval.htm

⁹ Ibid.

¹⁰ Salem Chaker et Andrzej Zaborski. Etudes Berberes et Chamito-Semiques. Ed. Peeters .Paris- Louvain. 2000. P 75

¹¹ تأسست هذه الجائزة النسوية عام 1886، لتمنح كل عامين لعمل أدبي لامرأة، شعراً أو نثراً، مهما كان موضوعه.

¹² <http://www.elem.mx/obra/datos/226461>

¹³ Les chants du Hoggar. Etudes berberes et chameto- semitique. Peeters – Parie- Louvain . 2000. P 73

¹⁴ جائزة سنوية أنشئت في عام 1872، مكافأة للكتب والكتابات في مجالات التاريخ والبلاغة وفي جميع أنواع الأدب، التي قد يبدو أنها الأنسب لتكريم فرنسا.

¹⁵ Antoinette TIDJANI Aloo. Si le Sahara m'était Conté. P 239

¹⁶ Maraval- Berthoin A. les voix du Hoggar. L'édition d'Art H piazza- Paris . 1954. P 47

¹⁷ جائزة تأسست عام 1920، تمنح لكل عمل يمكن أن يقرأه عامة الناس.

¹⁸ <https://www.academie-francaise.fr/rapport-sur-les-concours-litteraires-de-lannee-1952>

قائمة المراجع:

يحياوي مرابط مسعودة. المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين . تر. محمد المعراجي. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر. 2010 المجلد الأول .

Angelle- Maravale Berthouin. Les chants du Hoggar. Etudes berberes et chameto- semitique.

Peeters – Parie- Louvain . 2000

Angelle Maraval- Berthoin A. les voix du Hoggar. L'édition d'Art H piazza- Paris . 1954.

Salem Chaker et Andrzej Zaborski. Etudes Berberes et Chamito-Semiques. Ed. Peeters
.Paris- Louvain

https://data.bnf.fr/fr/12408427/angele_maraval-berthoin/

Antoinette TIDJANI Aloo. Si le Sahara m'était Conté

http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog06_Maraval.htm

<http://www.elem.mx/obra/datos/226461>

<https://www.academie-francaise.fr/rapport-sur-les-concours-litteraires-de-lannee-1952>¹⁸

<http://cerclealgerianiste2607.fr/Chapitres/ACCUEIL/Accueil.htm>